

وُتَفَتَحَ هذه الاجتماعات بصلاة الى الروح القدس يطلبون منه بان يجمع كلمتهم الى الصواب ويلاهم بمواهبه خيرة الكنيسة الاعظم
ثم يعرض الكمرانغ على اخوته الاحكام التي لا بُدَّ من فصلها فيحكمون فيها على اغلبيّة الاصوات. وعلى منضدة منفردة كاتب اسرار يدون ما اتفق عليه الكرادلة. وفي هذه الاجتماعات يقرأ الحكمدار ما ورد على الكرسي الرسولي من الرسائل البرقية بخصوص وفاة البابا ويستشيرهم في الجواب. وعند نهاية الاجتماع يدخل سفراء الدول فيقدمون باسم حكومتهم التعازي لجمع الكرادلة واذا دخل السفير جثا ثلاثاً كان البابا حيّ ثم يفوه واقفاً بخطبة شفاهية وينبئ بامله ان خلف الميت يعزّي قريباً الكنيسة المترومة ثم يقف الكرادلة اجمعون ويحيب باسهم اقدمهم سنّاً على خطاب السفير ويكلفه ان يبلغ دولته شكر الكرسي الرسولي على عبارات الولاء التي بلغوها مع ابداء الامل بان الدولتين لا تزالان في حيرة

شذرات في اصل القهوة

للدكتور بطرس حيك مدرس فن الصيدلي في مكتبة الطبي
لو جمع كل ١٠ صنفه الكتاب في القهوة ووصفها لبلغ الأضابير المضبرة فن ثم
لست ادعي باكتشاف شيء جديد في تعريف هذا النبات الشين وأما جمعت شذرات
في هذا المعنى احببت ان ادونها في هذه الحجة لافادة القراء
ان للقهوة كما لسانر المحصولات التي تُعَدُّ الآن من قوت الانسان الضروري
احاديث غريبة واقاصيص عجيبة يتناقلها الجمهور. فن قائل ان داود النبي هو اوّل من
وقف على خواصها وربّ زاعم روى انها اقدم منه عهداً. ومما يُجَبَّرُ ان ريش دير في
جزيرة العرب خرج يوماً الى الصحراء فرأى قطعاً من العزى كان يرعى بعضها اغصان شجرة
فتنشط باكلها وتقرح وكانت الشجرة شجرة القهوة فاستدلّ بذلك على ما لحببها
من القوة. وقد ذهب مرهج بن غرون الماروني في كتاب طبعه باللاتينية في رومية
العظمى (١) سنة ١٦٦١ الى ان اوّل من اطّلع على خواص القهوة راهبان نصرانيان

يدعوها «Sciadli» و«Aïdrus» يريد الشاذلي وحيدر. إلا أن هذا الكاتب قد وهم في قوله انهما راهبان لأن الشاذلي هو ابو الحسن علي الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية المتوفي سنة ٦٥٦ للهجرة (١٢٥٨ م) وحيدر هو شيخ الشيخ حيدر الصوفي صاحب الطريقة الحيدرية الذي اشاع استعمال نبات القنب اي الحشيشة بين الفقراء. فان عدنا الى التاريخ الصحيح بعد ذكر هذه الروايات الضعيفة وجدنا ان القهوة حديثة الاستعمال وانها دخلت في الاصقاع الاوربية زمناً قليلاً بعد شيوعها بين العرب.



ومن ثم لا صحة
لا ورد في معجم
ميراث ردي لنس
(Mérat et de
Lens) اذ قال
ان بني اسرائيل
واليونان عرفوا
خواصها

وما لا ريب
فيه ان اطباء
العرب الاولين
لم يعرفوا نبات
القهوة فان ابا
بكر محمد
الرازي المتوفي
سنة ٣٢٠ هـ
(٩٣٢ م) يريد
بالقهوة الخمر
وهو احد اسمائها
(راجع المشرق)

شجرة بنّ نبت في البستان اللاحق بكلمية القديس يوسف في بيروت

١٠٩٧: ١ و ١٠٩٨) وقد نظمها في فصل الخمر في كتابه « منافع الأغذية » فقال بعد ذكره الخمر القابضة: « القهوة وهو نوع من الشراب اوفق للمحرورين غير انه يستط الشهوة ». ويردف قوله بذكر الخمر التي تعرض في الشمس وكذلك جاء في اقرباذين سراييون (من أطباء القرن التاسع) ان القهوة خمر بيضاء خفيفة « (١)

أما ابن سينا (+ ٤٢٨-١٠٣٧) فإنه لم يذكر القهوة في جملة النباتات الطبية لا باسمها ولا باسم البن وإنما ذكر « البان » و « البنك » فقال في القانون عن البان (طبعة مصر ١: ٢٦٤): « البان (الماهية) حبة اكبر من الحنص الى البياض ما هو وله لب آبن دهني ». وقال عن البنك: (١: ٢٧٠) « البنك (الماهية) هو شي . يُحمل من الهند ومن اليمن . قال بعضهم انه أم غيلان اذا نجر (ويروى نجر) فتساقط . فتري من هذين الوصفين انهما لا يطابقان قهوة البن والعلماء يدعون البان باسم *Mimosa* « *aptera* L. أما أم غيلان فيدعونها « *Mimosa nilotica* L. » وإنما ذكر اسمها في باب الشراب فظن العلامة سبرنغل (Sprengel) انه اراد بالقهوة شجرة البن وكذلك غر فريتاغ بهذا الاسم في معجمه والصواب ان ابن سينا عني بالقهوة الخمر كالرازي ودونك ما كتبه عن الشراب قال (١: ٤٤٢): « الشراب (الماهية) اعني به القهوة . (الخواص) يعدل الفضول التي من جنس المرار والتبيذ الطري والغليظ الكدر يجعلان في العروق امتلاء واخلطانية (كذا) . (الاختيار) اجوده العتيق الرقيق الصافي العنبي ويختلف تناوله بحسب الامزجة اما للشباب فالقدر القليل منه . . . فيظهر من هذا الوصف ان ابن سينا يريد الخمر لا البن . وقد صرح بذلك في باب الخمر حيث قال (١: ٤٦٥): الخمر (الماهية) هو القهوة وقد ذكرناها في فصل الشين الخ . »

وكذلك عبد اللطيف (+ ٦٢٩-١٢٣١) لم يذكر القهوة في كتابه المعنون « الافادة والاعتبار في الامور المعانية في ارض مصر » فلو عرفها لما فاتته ذكرها وهو قد ذكر اللوباء وغير ذلك من الاغذية

وفي القرن العشر اشهر كتاب المفردات لابن الينطار ومع كثرة ما جمعه صاحبه من العقاقير والنباتات لم يذكر القهوة البتة . وكذلك ضرب صفحا عن القهوة معاصره

الكاهن العطار مؤلف اوسع كتاب وضعه العرب في المواد الطبية
وعلى راي لوكلار (Leclerc) في تاريخ الطب العربي ان اول من ذكر قهوة
البن داود الانطاكي من اطباء القرن السادس عشر للمسيح ووصفها وصفاً يتأفق
(١: ١٢١):

«البن ثم شجر باليمن يُفَرَس حَبَّةٌ في آذار وينمو ويُقطف في آب ويطول نحو ثلاثة
اذرع على ساق في غلظ الاجام ويزهر ابض يُخلف حباً كالبنديق وربما تفرطح كالباقلاء واذا
قُبِّر انقسم نصفين. واجوده الرزين الاصفر واردة الاسود وهو حار في الاولى يابس في الثانية
وقد شاع برده وببسه وليس كذلك لانه مرّ وكلّ مرّة حار. ويمكن ان القشر حار ونفس البن
امّا معتدل او بارد في الاولى والذي يعضد برده عفوصته. وبالجملة فقد حُرب لتجفيف الرطوبات
والسعال البلغمي والثرلثات وفتح السدد وادرار البول. وقد شاع الآن اسمه بالقهوة اذا حُمص
وطُبخ بالفا. وهو يسكن غليان الدم وينفع من الجدرى والحصبه والشرى الدموي لكنّه يحلب
الصباغ الدوري ويجزل جداً ويورث السهر ويولد البواسير ويقطع الشهوة وربما افشى الى المايلخوبيا
فمن اراد شربه للنشاط ودفع الكسل وما ذكرناه فليكثر منه من اكل الحلو ودهن الفتق
والسمن. وقوم يثربونه باللبن وهو خطأ يُخشى منه (البرص)»

وقد اثبت العلامة سلفستر دي ساسي امام المستشرقين في مجموعته المعنون
«بالانيس المفيد للطالب المستفيد» نصوصاً مختلفة في البن واصله ونشر للشيخ عبد
القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي مقالة حسنة في ذلك (١) تدعى «عمدة
الصوفة في حل القهوة» وضعها سنة ٩٩٦ للهجرة (١٥٨٨ م) ومما ورد فيها ان ظهور
القهوة وانتشارها في اليمن انما كان على يد الشيخ الامام جمال الدين ابي عبد الله
محمد بن سعيد المعروف بالذبحاني نسبة الى ذبحان بلدة باليمن. وكانت وفاة الشيخ
المذكور سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م). وقد اسند الشيخ عبد القادر هذه الرواية الى شهاب
الدين بن عبد الغفار وفخر الدين ابي بكر بن ابي يزيد ثم اردف الشيخ ابن عبد الغفار
قائلاً: «ويُحتمل ان يكون الذبحاني اول من ادخلها عدن كما هو المشهور ويُحتمل ان الذي
ادخلها غيره ولكنها نسبت اليه لكونه كان هو السبب في ظهورها وانتشارها»
وهذا القول لا يصح سوى في اليمن لان بلاداً غيرها عرفت قبل ذلك. ومما لا
يشكر ان الحبش كانوا يستعملون البن قبل هذا العهد وكانوا يأكلون حبه نيئاً ويتناولون

به. وكان انتشار القهوة في مصر بعد حدوثها في اليمن بقليل ادخلها مصر بعض فقراء اليمن كانوا يشربونها ليطيلوا السهر ويذهبوا الكسل. وروى دي سامي عن جيهان نوما الجغرافي التركي أن أحد الدمشقيين فتح في الاستانة العلية حانوتاً سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥ م) كان يجتمع فيه الاعيان والادباء ويشربون القهوة فدعي ناديتهم بمدرسة العلماء.

هذا ولا اذكر هنا ما اصاب من الحزن سُراب القهوة. فمن اراد الوقوف على ذلك فعليه بكتاب عبد القادر. ولعلَّ السبب في ذلك أن بعض الائمة غرهم اسم القهوة الذي كان يدلُّ في أوَّل الامر على الحمر وهي محرمة على المسلمين كما لا يخفى فأفتوا بتحريم قهوة البنّ ايضاً لظنهم أنّها من الحُمور والمشروبات الروحية. والفرق بينهما ظاهر. وكذلك لم يفرق البعض بين البنّ الذي نحن بصددِه وحبوب البان والبُنك التي وصفناها سابقاً نقلاً عن ابن سينا

*

بقي علينا ان نذكر تاريخ انتشار القهوة في الاصقاع الاوربية تتمة للفائدة. فنقول أن سنة دخول القهوة في اوربة ليست معروفة إلا انه يمكناً تعريف ذلك على التقريب فإن بطرس بلون (P. Belon) الذي طاف بلاد الدولة العلية ومصر وجزيرة سينا بين السنتين ١٥٤٦ و ١٥٤٩ لم يذكر القهوة مع أنّه اتسع في وصف النباتات التي وجدها وافاض في اطعمة الاهلين الذين زارهم وذكر اصناف اغذيتهم وهذا دليل على انه لم ير البنّ وأن استعماله وقتئذ كان قليلاً منحصراً. وعلى رأي لوكلار أن أول من ذكر القهوة في اوربة انما هو كلوزيوس (Clusius) في كتاب تولى نشره كان وضعه الطبيب غرسية اورثا فسمّاه: «تاريخ بعض الافاوية والعقاقير النابتة في الهند» (١) لكنّه لم يأت بذكرها في الطبعة الاولى سنة ١٥٦٧ بل في الثانية فقط سنة ١٥٧٤ وفيها يقول: «أنّ الطبيب الفنس يَنسيوس من اكاديمية قراري ارسل اليه حبواً تدعى بُناً او قهوة (Buna ou Elkaue) مججم حبوب السذاب (Fagara, Rutacées) لكنّها اعرض واطول منها لونها ارمد وقشرها رقيق في وسطها خط مستطيل يمتد بين طرفيها بحيث يمكن قسمها

(١) راجع Garcia Orta : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia.*

فلتين وفي كل منهما حبة مستطيلة سوية من احد جانبيها ضاربة الى الصفرة في طعمها عفوصة. ويقال ان اهل الاسكندرية يهينون منها شراباً مبرداً وقد اضاف الى هذا الوصف صورة الحبوب كما تراها



حبوب البن كما رسم شكلها بنسيوس

وفي سنة ١٥٩١ نشر پروسبر ألين (Prosper Alpin) كتابه في طب المصريين وأحلقه في السنة

التالية بكتاب نباتات مصر وقد وصف في كليهما البن وصفاً مستوفياً فقال في بعض مخاطباته عن نباتات مصر (ص ٢٦) « قد رأيت في حديقة احد الاتراك اسمه حالي بك شجرة لا تعرف صورتها تذب حبوباً يدعونها بنا (Bon ou Ban) يستحضر منها المصريون والعرب شراباً معروفاً يسمى قهوة يشربونه بدلاً من الخمر واصل هذه الحبوب من اليمن والشجرة التي عاينتها تشبه البجلة (fusain) ألا ان ورقها اصفر واصلب وهي اشد منها خضرة وتبقى خضراء ابدًا ». فيجيبه مخاطبه غياندينوس ان

ابن سينا ذكر اغراسه (وقد مر بك ان ابن سينا لم يعرف البن). ثم يثبت في كتابه رسم شجرة البن كما تراها هنا



وزاد في كتابه عن طب المصريين (١١٨ و ١٢٢) ان اهل مصر يطبخون القهوة ويشربونها صباحاً قبل الطعام وان نساءهم يتخذنها لاستدرااد الحيض

وكان انتشار القهوة في اوربة بائناً كما يظهر من قول بطرس

صورة شجرة البن كما رسمها پروسبر ألين

يومه (P. Pomet) سنة ١٦٩٤ : « ان القهوة او البنّ ثمر شجرة يشبه ساقها اللولبية . روى ذلك كاتب محدث ولمّا لم اثن بقوله آثرتُ نقل ما كتبه بوهين (Bauhin) الشهير من العلماء الأثبات وهو يسند كلامه الى ذوي الخبرة قال : ان البنّ ثمر شجرة اصل حبوبها من اليمن والشجرة شبيهة بالبجلة ورقها صفيق اخضر ابدًا . وقد رسمتُ صورة الشجرة بشرها (انظر الشكل في هذه الصفحة) ثم يذكر يومه خواصّ البنّ الجيد . ويحذّر من وضع أكياس البنّ في ماء البحر لئلاّ يتلف



شجرة البنّ بشرها كما رسمها يومه

قد سبق
ان الحبش اكلوا
البنّ نيّاً منذ
زمن مديد وان
استعماله كشراب
بعد تحميص
الحبوب لا يرتقي
الى ما وراء
القرن السادس
عشر . وتريد هنا
نقلًا عن عبد
القادر الجزيري
طريقة استحضار
القهوة : « يكون
وذلك على نوعين
امّا ان تُعدّ بوضع

القشر وحده فتدعى القشرية وامّا ان يتخذ البنّ الحجّم المدقوق وهي البنية في ماء ثم يُغلى عليه حتى يُخرج خلصيته . « واول من اشار الى اتخاذ الماء البارد مع القهوة هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن يعقوب المكي وكان يزعم » ان

الماء البارد ممّا يفيدها رطوبة المزاج ويقلّ يُنبسها ولا يكون السهر حينئذٍ شديداً «

أمّا اشتقاق اسم القهوة فقد عرّفه الاوربيون منذ نحو ٢٠٠ سنة قال لامي (Lémery) سنة ١٧١٤ في معجمه ما تعريبه: ان اصل القهوة من فعل عربي معناه اذهب الشهوة. وهذا نفس ما يقوله العرب قالوا سُئِمَت بالقهوة لأنها تُفهي شاربها عن الطعام والخمر اي تُذهب بشهوته. وفي هذه الشذرات كفاية لغرضنا. والله الحمد

Bibliographie

Abd-allatif : *Relation de l'Egypte, trad. de Sacy, in 4° Paris, 1810.* = Abou-l-Mana dit Cohen al-'Attar : *نهاج الدكان texte arabe, in-4° Caire, 1319 H.* = Alpin Prosper : *De Medicina Aegyptiorum, in-4° Venise, 1591.* = idem : *De plantis Aegypti, in-4° Venise, 1592.* = Avicenne : *قانون ابن سينا texte arabe, in-fol. Rome, 1593; et Boulak, 1294 H.* = Belon (Pierre du Mans) : *Les observations de plusieurs singularités etc. in-4°, Paris, 1553.* = Daoud al Antaki : *تذكرة أربي الايباب texte arabe, 3 vol. in-4°, Caire, 1281 II.* = Freitag : *Lexicon arabico-latinitum, 4 vol. in-4° Halis Saxoniæ, 1830.* = Garcia ab Horta : *Aromatum et simplicium aliquot medicamentorum apud Indos nascentium historia, trad. latine de C. Clusius, Anvers 1574.* = Ibn el Beithar : *كتاب المفردات trad. Leclerc, 3 vol. in-4° Paris, 1877-1883.* = Lémery : *Dictionnaire des drogues simples, in-4° Paris, 1714.* = Mérat et Lens : *Dictionnaire universel de matière médicale, 7 vol. in-8° Paris 1820-1846.* = Pomet (Pierre) : *Histoire générale des drogues, in-fol. Paris, 1694.* = Razès : *مناجم الاغذية texte arabe, in-4° Caire, 1305 II,* = de Sacy : *Chrestomathie arabe, 3 vol. in-8° Paris 1826-27.* = Serapion : *Practica, Synonyma, in-fol. Venise, 1497.* = Sprengel : *Historia rei herbariae, 2 vol. in-8° Amsterdam, 1807-08.*